الفصل الثالث عشر

ابتسامات نبوية من أمور أخروية

١- سلوه عن صغار ذنوبه .

٢- شاتان تتناطحان .

٣- مجادلة العبد ربه .

٤- أناس يقادون إلى الجنة بالسلاسل .

oberkandl.com

ابتسامات نبوية من أمور أخروية

يوم القيامة هو يوم ؛ لكنه ليس ككل الأيام ، بل هو يوم له ما بعده ، وما علم يوم تعددت أسمائه كما تعددت الأسماء ليوم القيامة وكما قيل : إن كثرة الأسماء تدل علي عظم المسمى ، وكل من هذه الأسماء تكون له دلالة معينة اعتبارا لاسمه ، أو إضافة إلى فعل مخصوص في هذا اليوم ، أو إلى وصف معلوم ، ومن الأسماء الواردة في القرآن الكريم ليوم القيامة : أنه يوم الدين ، اليوم الآخر ، يوم الوفاء ، يوم الجزاء ، يوم اللقاء ، يوم البقاء ، يوم الحساب ، يوم الثناء ، يوم التلاق ، يوم العقاب ، يوم الخروج ، يوم الخلود ، يوم الوعيد ، يوم الخزي ، يوم الفصل ، يوم الحق ، يوم الجمع ، يوم التغابن ، يوم البعث ، يوم الحشر ، يوم النشر ، يوم النفخ ، يوم الصور ، يوم الصراط ، اليوم المعلوم ، اليوم المشهور .

وهو : يوم الساعة ، يوم الطامة ، يوم الصاخة ، يوم الرجفة ، يوم البطشة ، يوم الصاعقة ، يوم الواقعة ، يوم الراجفة ، يوم الرادفة ، يوم الحاقة ، يوم الآزفة ، يوم القارعة ، يوم الزلزلة ، يوم الانفطار ، يوم التكوير ، يوم الانشقاق ، يوم العبوس ، يوم الندم ، يوم الفزع ، يوم الأرق ، يوم الصعق .

وهو : يوم عظيم ، يوم كبير ، يوم أليم ، يوم عصيب ، يوم محيط ، يوم معلوم ، يوم عسير ، يوم عبوس ، يوم قمطرير ، يوم ثقيل .

وقد كان النبي ﷺ يحدث أصحابه بأمور غيبية ، وأحداث أخروية تكون في هذا اليوم ، فيقصها عليهم ، وقد يضحك النبي ﷺ مما يحدث فيها ، وقد تقدم الحديث عن بعضها ، ونذكر منها ما يلي :

١- سلوه عن صغار ذنوبه .

٢- شاتان تتناطحان .

٣- مجادلة العبد ربه .

٤- أناس يقادون إلى الجنة بالسلاسل .

سلوه عن صغار ذنوبه

عن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخر أهل النار خروجاً منها ؛ رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه ، وارفعوا عنه كبارها ، فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال : عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا ، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا ؟ فيقول : نعم . لا يستطيع أن ينكر ؛ وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه ، فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة ، فيقول : رب قد عملت أشياء لا أراها ها هنا . فلقد رأيت رسول الله ﷺ **ضحك حتى بدت نواجذه**»[1] .

كان النبي ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة ، وكان أسلوبه ﷺ مشوّقا ، وهذا الحديث الذي معنا فيه نوع من أنواع التشويق ، إذ فيه يذكر النبي ﷺ موقفا من مواقف يوم القيامة المتعددة .

ويذكر العلماء أن القيامة مواضع ، فمنها ما يكون فيها حساب وسؤال ، ومنها ما لا يكون فيها حساب ولا سؤال .

وقد يقرأ القرآن بعض الناس ؛ فيظنون أن هناك تعارضا بين بعض آياته ، إذ أن آية قد تثبت ما تنفيه أخرى ، وثالثة تنفي ما أثبتته الأولى ، وفي آيات الحساب ما قد يتوهم قارئه ذلك ، فهناك آيات تثبت السؤال والحساب مثل قوله سبحانه : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الحجر:٩٢،٩٣)، وقوله سبحانه : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الأعراف:٦)، ثم تأتي آيات أخرى تنفي هذا السؤال ؛ كقوله تعالى ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (القصص:٧٨)، وقوله سبحانه ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ (الرحمن:٣٩).

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٩٠) .

ولكن ؛ ليس ثم تناقض أو أدنى تعارض ، وإنما الأمر له عدة أجوبة :

الأول : أن القيامة مواطن ، فموطن فيه سؤال وكلام ، وموطن لا يكون ذلك ، قال عكرمة : القيامة مواطن يسأل في بعضها ، ولا يسأل في بعضها[1].

الثاني : أي أنهم لا يسألون سؤال استعتاب ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ (النحل:٨٤)، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ . قاله الحسن[2].

ويطلق الحساب يوم القيامة ويراد به أمران :

الأول : عرض أعمال العباد عليهم ، دون نقاش ودون سؤال : لما كان ، ولما عملت ؟ وهذا ما يطلق عليه الحساب اليسير ، وهو الذي قال فيه الحق سبحانه ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾(الانشقاق:٧،٨)

الثاني : عرض الأعمال على العبد ومناقشته عليها ، وهذا العبد المناقش هالك لا محالة ، وقد جاء في حديث عائشة أن رسول الله ﷺ قال : «ليس أحد يحاسب إلا هلك» . قالت : قلت : يا رسول الله ، جعلني الله فداءك ، أليس يقول الله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ (الانشقاق:٧،٨). قال : «ذاك العرض يعرضون ، ومن نوقش الحساب هلك»[3].

وأما كيف يبدل الله سيئات هذا العبد حسنات ؟ قال القاري : وهو إما لكونه تائبا إلى الله تعالى ، وقد قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان:٧٠). لكن يشكل بأنه كيف يكون أخر أهل النار خروجاً ؟

ويمكن أن يقال : فعل بعد التوبة ذنوبا استحق بها العقاب ، وإما وقع التبديل له من باب الفضل من الله تعالى ، والثاني أظهر ، ويؤيده أنه حينئذ يطمع في كرم الله

---

(١) انظر : القرطبي ، ١٠/ ٦١ .

(٢) انظر : القرطبي ، ١٣/٣١٦ .

(٣) رواه البخاري في التفسير (٤٩٣٩) ومسلم في الجنة ونعيمها (٢٨٧٦) .

سبحانه فيقول : يا رب لقد عملت أشياء أي من الكبائر ما أراها ههنا ، أي في الصحائف أو في مقام التبديل [1].

جاء هذا الحديث بروايات متعددة ، ويبدو هنا طمع العبد في رحمة الله تعالى حين يجد صغاره قد بدلت حسنات ، فيبحث عن الكبائر قائلاً : «رب عملت أشياءً لا أراها هنا» وهذا سبب ضحك النبي ﷺ .

بعض ما يستفاد من الحديث :

١- تنوع أسلوب النبي ﷺ في الدعوة .

٢- سعة عفو الله سبحانه .

٣- ثبوت السؤال والحساب يوم القيامة .

٤- تفاوت أهل الجنة في الدرجات .

شاتان تتناطحان

عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ كان جالساً وشاتان تقترنان[2]، فنطحت إحداهما الأخرى فأجهضتها ، قال : فضحك رسول الله ﷺ فقيل له : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : «عجبت لها ؛ والذي نفسي بيده ليقادن[3] لها يوم القيامة»[4].

وهذا مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة ؛ وفي هذا الموقف ـ موقف الحساب والقصاص ـ يقتص الله عز وجل فيه من كل شيء لكل شيء ، حتى إنه ليقتص من

---

(١) انظر : تحفة الأحوذي ، ٢٧٢/٧ .

(٢) تتناطحان .

(٣) القود : القصاص .

(٤) رواه أحمد (٢١٥١١) وقال محققو المسند : حديث حسن ، وأخرجه البزار(٤٠٣٢) .

الحيوان للحيوان ، وفي حديث عند مسلم : «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء[1] من الشاة القرناء»[2].

بل إن القصاص يكون من الإنسان للحيوان إن كان الإنسان قد ظلمه وحمله فوق طاقته ، وما رحم فيه ضعفه وعجزه ، ولا عدم فهمه أو نطقه ، وفي الحديث : «من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة يقول : يا رب إن فلانا قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة»[3].

ويكون القصاص كذلك من كل ذرة لأخرى ، وهذا دليل على دقة الحساب وأداء الحقوق إلى أصحابها وفي الحديث عند أحمد : «يقتص للخلق بعضهم من بعض ، حتى للجماء من القرناء ، وحتى للذرة من الذرة[4]».

عند هذه اللحظة يتمنى الكافر أن لو كان حيوانا لا يفهم ولا يعقل ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ (النبأ: ٤٠).

قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ (النبأ: ٤٠) : قال ابن عمر : إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم ، وحشر الدواب والبهائم والوحوش ، ثم يوضع القصاص بين البهائم ، حتى يتقص للشاة الجماء من الشاة القرناء بنطحتها ، فإذا فرغ من القصاص بينهما قيل لهما : كوني تراباً ، فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا[5].

وأما القصاص بين البشر فيكون بالحسنات والسيئات ، إذ لا قيمة وقتها لدرهم ولا دينار ، ولا فلس ولا قنطار ، ولا أرض ولا أطيان ، ولا جاه ولا سلطان ، ولا أحساب ولا أنساب ، ولا مناصب ولا ألقاب ؛ إنما التعامل بالحسنات والسيئات ، وقد كان النبي ﷺ يحذّر أصحابه من مغبة هذا ، يوم لا يكون ثم تعامل مادي ، ويأمرهم باستحلال بعضهم مما وقعوا فيه مع بعضهم فيقول ﷺ : «من

---

(١) التي لا قرن لها .

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٨٢) عن أبي هريرة .

(٣) رواه النسائي . وضعفه الألباني في غاية المرام حديث (٤٧) .

(٤) رواه أحمد في المسند (٨٧٥٦) وقال محققو المسند : صحيح دون قوله «وحتى للذرة من الذرة»، وهذا إسناد حسن رجاله رجال الصحيح

(٥) انظر : القرطبي ، ١٨٩/١٩ .

كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها ؛ فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ؛ فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه».[1]

وفي رواية عند الترمذي قال ﷺ «رحم الله عبداً كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فجاءه فاستحله قبل أن يؤخذ وليس ثم دينار ولا درهم ؛ فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته ؛ وإن لم تكن له حسنات حملوا عليه من سيئاتهم»[2].

بعض ما يستفاد من الحديث :

١- ربط النبي ﷺ الأحداث الواقعة بما يكون يوم القيامة .

٢- ثبوت السؤال والحساب يوم القيامة .

٣- عدل الله سبحانه .

مجادلة العبد ربه

عن أنس بن مالك ﷺ قال : كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال : هل تدرون مم أضحك ؟ قال : قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : من مخاطبة العبد ربه . يقول : يا رب ألم تجرني[3] من الظلم ؟ قال : يقول : بلى . قال : فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني . قال : فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً . قال : فيختم على فيه[4]. فيقال : لأركانه[5] انطقي . قال : فتنطق

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٣٤) عن أبي هريرة .

(٢) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٢١) وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الأوسط وفيه هشام بن عيسى اليزني ولم أعرفه وبقية رجاله وثقوا (١٠/٣٥٥) وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٦٥) .

(٣) الإجارة : عهد بالمنع والحماية .

(٤) فمه .

(٥) أعضائه وجوارحه .

بأعماله . قال : ثم يخلى بينه وبين الكلام . قال : فيقول : بعداً لَكُنّ وسحقا ، فعنكن كنت أناضل[1] »[2].

وهذا موقف ثالث من مواقف يوم القيامة ، والذي يظهر أن الناس في شدة هذا الموقف يحاول بعضهم إنكار فعالهم ، والتنصل من خسيس أعمالهم ، فينكرون كل منكر فعلوه ، ويتبرأون من كل إثم اقترفوه ، ويتنصلون من كل ذنب أذنبوه ، وكلما زادت شدة الحساب ، وتعالت صيحات العذاب ، وبدت أمام أعينهم صور الجحيم ، كلما زاد الإنكار ، وتعالت الألسنة بالأيمان ، وصاحت الأفواه بالإقسام ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام:٢٣). ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ (المجادلة:١٨)، حتى إذا أدركوا أنهم هالكون ، وفي العذاب جاثمون ، طلب كل واحد منهم من الله أن لا يشهد عليه إلا نفسه فلا يقبل قريباً ولا صديقاً ولا أخاً ولا حبيباً ؛ بل لا يقبل الملائكة الكرام شهوداً عليه ، بل ربما تطاول في كذبه وتمادى في افترائه وغيّه ، واتهم الملائكة الكرام بظلمه ، ولا يرضى بأحد منهم شهيداً ، فيختم الله على الألسنة والأفواه ، وتكمم الأحنكة والشفاه ، وينطق الله الأيدي والأقدام ، والسيقان والأفخاذ ، والأسماع والأبصار ، والجلود والأعضاء ، وفي هذا يقول سبحانه : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (يس:٦٥)، وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (فصلت:٢٠)، وقال عز من قائل : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (النور:٢٤).

وقد جاءت أحاديث كثيرة بروايات مختلفة توضح نطق الجوارح ومنها :

ما رواه مسلم عن أبى هريرة ﷺ :« ثم يقال له : الآن نبعث شاهدنا عليك ، ويتفكر في نفسه ؛ من الذي يشهد علي ؟ فيختم على فيه ، ويقال لفخذه ولحمه

---

(١) أجادل وأدافع .

(٢) رواه مسلم في الزهد (٢٩٦٩) عن أبي هريرة .

وعظامه : انطقي . فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق ، وذلك الذي يسخط الله عليه»[1].

وفي رواية : عن معاوية بن حيدة :«أن رسول الله ﷺ أشار بيده إلى الشام فقال : «من هاهنا إلى هاهنا تحشرون ركبانا ومشاة ، وتجرون على وجوهكم يوم القيامة على أفواهكم الفدام[2]، توفون سبعين أمة ، أنتم خيرهم وأكرمهم على الله ، وإن أول ما يعرب عن أحدكم فخذه»[3].

روى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فيجحد ويخاصم فيقال: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك. فيقول: كذبوا . فيقول : أهلك وعشيرتك . فيقول : كذبوا . فيقال : احلفوا فيحلفون ، ثم يصمهم الله فتشهد عليهم أيديهم وألسنتهم ، ثم يدخلون النار» .

وروى ابن أبي حاتم أيضا عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : « إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل الشمال».

وروى ابن جرير عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : «يدني المؤمن للحساب يوم القيامة ، فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيعترف ، فيقول : أي رب عملت وعملت . قال : فيغفر الله تعالى له ذنوبه ويستر منها . قال : فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئاً ، وتبدو حسناته ؛ فودّ أن الناس كلهم يرونها . ويدني الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله ، فيجحد ويقول : أي رب وعزتك لقد كتب عليّ هذا الملك ما لم أعمل . فيقول له الملك : أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول : لا وعزتك أي رب ما عملته ، فإذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه ، قال أبو موسى : فإني أحسب أول ما ينطق منه الفخذ

---

(١) رواه مسلم في الزهد (٢٩٦٨) عن أبي هريرة .

(٢) الفدام : مصفاة توضع على الكوز والإبريق .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢٠٠٢٢) وقال محققو المسند : إسناده حسن ، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٤٢/١٤) والطبراني في الكبير (١٠٣٤/١٩) وابن حبان (١٦٠) .

اليمنى ثم تلا : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (يس:٦٥).

وروى ابن أبي حاتم عن رافع عن أبي الحسن قال : وصف رجلاً جحد قال : فيشير الله تعالى إلى لسانه فيربو في فمه حتى يملأه فلا يستطيع أن ينطق بكلمة ، ثم يقول لآرابه[1] كلها تكلمي واشهدي عليه ، فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويداه ورجلاه : صنعنا عملنا فعلنا .

وروى ابن أبي حاتم أيضا عن جابر بن عبد الله قال : لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال : ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ فقال فتية منهم : بلى يا رسول الله بينا نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم ، تحمل على رأسها قلة من ماء ، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها ، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ؛ فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده إذا ؟ قال : يقول رسول الله ﷺ : صدقت صدقت ، كيف يقدس الله قوماً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم ؟

قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم ﴾ (يس:٦٥) قال : قيل في سبب الختم أربعة أوجه :

أحدها : لأنهم قالوا : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام:٢٣) فختم الله على أفواههم حتى نطقت جوارحهم .

الثاني : ليعرفهم أهل الموقف فيتميزون منهم .

الثالث : لأن إقرار غير الناطق أبلغ في الحجة من إقرار الناطق ؛ لخروجه مخرج الإعجاز ، وإن كان يوماً لا يحتاج إلى إعجاز .

---

(١) آرابه : أي أعضاءه .

الرابع : ليعلم أن أعضاءه التي كانت أعوانا في حق نفسه صارت عليه شهوداً في حق ربه[1].

ولذلك كان قتادة يقول : ابن آدم ؛ والله إن عليك لشهوداً غير متهمة من بدنك فراقبهم واتق الله في سرك وعلانيتك ، فإنه لا يخفى عليه خافية ، والظلمة عنده ضوء ، والسر عنده علانية ، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ولا قوة إلا بالله[2].

وقال الشاعر واصفا هذه الأعضاء الشاهدة :

العمر ينقص والذنوب تزيد ... وتقال عثرات الفتى فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد ... رجل جوارحه عليه شهود
والمرء يسأل عن سيئة فيشتهي ... تقليلها وعن الممات يحيد[3]

ويبدو أن هذا العبد الذي ناضل عن أعضائه ، ودافع عن جوارحه لا يلبث أن يقر بما أظهره الله له ، وأشهد أعضائه عليه ، فيقول قول المُقِر :« بُعداً لَكُنّ وسحقا ، فعنكن كنت أناضل» أما وقد ظهر المخبوء ، وبان المستور ، وحُصّل ما في الصدور ، وشهدت الأعضاء ، فلا مفر من عذاب الله . فنسأل الله العفو والسلامة .

بعض ما يستفاد من الحديث :

١- قدرة النبي ﷺ على تهيئة أصحابه لتلقي العلم منه .

٢- مجادلة العبد ربه ومحاورته له يوم القيامة .

٣- ضرورة تربية الناس على الحوار ، وهذا كافر يحاور ربه .

٤- قدرة الله على إنطاق كل شيء .

٥- تبجح الظالم وكذبه لينجو من عذاب الله .

---

(١) انظر : القرطبي ، ٤٩/١٥ .
(٢) انظر : ابن كثير ، ٤٣٢/٤ .
(٣) انظر : القرطبي ، ٣٥٢/١٥ ، ٣٥٣

أناس يقادون إلى الجنة بالسلاسل

عن العباس بن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه قال : كنت مع النبي ﷺ بالخندق فأخذ الكرزين[1] فحفر به ، فصادف حجراً فضحك ؛ قيل : ما يضحكك يا رسول الله ﷺ ؟ قال : «ضحكت من ناس يؤتى بهم من قبل المشرق في النكول[2]، يساقون إلى الجنة».[3]

وقد روى البخاري هذا الحديث بلفظ «عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل»[4].

لقد جُبل الإنسان على حب الخير وبغضه للشر ، وأحياناً قد يعرض للإنسان شر لكنه يحمل في طياته كل خير ، قال تعالى : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة:٢١٦). وقال : ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:١٩).

والمتأمل لسيرة الصحابة ﷺ يرى أن البعض منهم يصدق عليه هذا الحديث ، فكم من أناس منهم سوّلت لهم أنفسهم معادة رسول الله ﷺ ، ووسوس لهم شيطانهم قتله ، فيقضي الله عليهم بالأسر ، ولا يلبث الواحد منهم أن يرى من خلق النبي ﷺ وصفاته ما يشرح الله به صدره للإسلام .

وأذكر من هؤلاء اثنين :

الأول : عمير بن وهب «شيطان قريش» هكذا كان يطلق عليه قبل الإسلام ، ويحكي لنا محمد بن جعفر بن الزبير فيقول : جلس عمير بن وهب الجمحي

---

(١) الفأس لها رأس واحدة .

(٢) القيود .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢٢٨٦١) وقال محققو المسند : إسناده ضعيف ، وأخرجه الطبراني ، وذكره الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٦) .

(٤) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٨) عن أبي هريرة .

وصفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير ، وكان عمير ابن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ويلقون منه عناء إذا هم بمكة ، وكان ابن وهب بن عمير في أسارى أصحاب بدر . قال : فذكروا أصحاب القليب بمصابهم فقال : والله إن في العيش خيراً بعدهم . فقال عمير بن وهب : صدقت والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه ، وعيالي أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة ابني عندهم أسير في أيديهم . قال : فاغتنمها صفوان فقال : عليّ دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أسويهم ما بقوا لا نسعهم بعجز عنهم .

قال عمير : اكتم عني شأني وشأنك . قال : أفعل ، ثم أمر عمير بسيفه فشحذ وسُمَّ ، ثم انطلق إلى المدينة . فبينما عمر ﷺ بالمدينة في نفر من المسلمين يتذاكرون يوم بدر ، وما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر إلى عمير ابن وهب قد أناخ بباب المسجد متوشح السيف فقال : هذا الكلب والله عمير ابن وهب ما جاء إلا لشر ، هذا الذي حرش بيننا وحرزنا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله هذا عمير بن وهب قد جاء متوشح بالسيف قال : « فأدخله » . فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها وقال عمر لرجال من الأنصار ممن كان معه : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا هذا الكلب عليه فإنه غير مأمون .

ثم دخل على رسول الله ﷺ به وعمر آخذ بحمالة سيفه فقال : « أرسله يا عمر ، ادن يا عمير » . فدنا فقال : أنعموا صباحاً . وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم . فقال رسول الله ﷺ : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، السلام تحية أهل الجنة » . فقال : أما والله يا محمد إن كنت لحديث عهد بها . قال : « فما جاء بك؟ » . قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسبه قال : « فما بال السيف في عنقك؟ » . قال : قبحها الله من سيوف فهل أغنت عنا شيئاً ؟ قال : « أصدقني ما الذي جئت له ؟ » . قال : ما جئت إلا لهذا . قال : « بلى قعدت أنت وصفوان بن أمية في

الحجر فتذاكرتما أصحاب القليب من قريش فقلت : لولا دين علي وعيالي لخرجت حتى أقتل محمداً . فتحمل صفوان لك بدينك وعيالك على أن تقتلني والله حائل بينك وبين ذلك».

قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إني لأعلم ما أنبأك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق .

فقال رسول الله ﷺ : « فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره». ثم قال : يا رسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام لعل الله أن يهديهم ولا أؤذيهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم . فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة .

وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب قال لقريش : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر . وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه فحلف أن لا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً . فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه ناس كثير . .[1]

الثاني : ثمامة بن أثال الحنفي : بعث النبي ﷺ خيلا قبل نجد ، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه النبي ﷺ فقال : (ما عندك يا ثمامة) . فقال : عندي خير يا محمد ، إن تقتلني تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال ، فسل منه ما شئت . فترك حتى كان الغد ، فقال : (ما عندك يا ثمامة) . فقال : ما قلت لك ، إن تنعم

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٧ / ٥٧) وقال البيهقي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني مرسلاً وإسناده جيد (٨/٢٨٥) .

تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد فقال : ما عندك يا ثمامة فقال : عندي ما قلت لك فقال : (أطلقوا ثمامة) . فانطلق إلى نخل قريب من المسجد ، فاغتسل ثم دخل المسجد ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، يا محمد ، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك ، فأصبح دينك أحب دين إلي ، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي ، وإن خيلك أخذتني ، وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ، قال : لا ، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ، ولا والله ، لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ .[1]

وأما التقييد بالسلاسل ؛ هل هو على حقيقته أم لا ؟

قال ابن حجر : المراد بكون السلاسل في أعناقهم مقيد بحالة الدنيا ، فلا مانع من حمله على حقيقته ، والتقدير يدخلون الجنة وكانوا قبل أن يسلموا في السلاسل ، وعن أبي هريرة في قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران:١١٠) قال : خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام .

قال ابن الجوزي : معناه أنهم أُسِروا وقيدوا ، فلما عرفوا صحة الإسلام دخلوا طوعا ، فدخلوا الجنة ، فكان الإكراه على الأسر والتقييد هو السبب الأول ، وكأنه أطلق على الإكراه التسلسل ، ولما كان هو السبب في دخول الجنة أقام المسبب مقام السبب .

وأما إبراهيم الحربي فمنع حمله على حقيقة التقييد وقال : المعنى يقادون إلى الإسلام مكرهين ، فيكون ذلك سبب دخولهم الجنة ، وليس المراد أن ثم سلسلة .

---

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٣٧٢) ومسلم في الجهاد (١٧٦٤) عن أبي هريرة .

وقال غيره : يحتمل أن يكون المراد المسلمين المأسورين عند أهل الكفر يموتون على ذلك أو يقتلون فيُحشرون كذلك ، وعبر عن الحشر بدخول الجنة لثبوت دخولهم عقبه ، والله أعلم [1].

بعض ما يستفاد من الحديث :

١- دقة ملاحظة الصحابة للرسول ﷺ ، واستفسارهم عن كل ما يصدر منه .

٢- إرادة الله للعبد خير من تقديره وإرادته .

٣- قد يكون الخير كامنا فيما ظاهره الشر ، فلا يكثر الإنسان الحزن عليه .

---

(١) انظر : فتح الباري ، ٦/١٤٥ .

obeikandl.com